

## الباب الرابع

### الإسرائيليات فى قصة يوسف وزليخا فى تفسير الطبري وابن كثير

#### أ. التعريف بسورة يوسف

الإسم الوحيد لهذه السورة "سورة يوسف" ذكر ابن حجر أن أبا رافع بن مالك هو أول من قدم المدينة يحمل سورة يوسف، ووجه تسميتها ظاهر، لأنها تحدثت عن قصة يوسف عليه السلام كلها. ولم تذكر قصته فى غيرها. ولم يذكر اسمه إلا فى سورتي الأنعام ومؤمن وهي تتوسط السور المفتحة بحروف "الر". والسورة مكية النزول كلها، وقيل إن الآيات الثلاث الأولى مدينة، وهو رأي ضعيف، لأن السورة كلها قصة واحدة وضعف السيوطي هذا الرأي وقال عنه رأي واه جدا فلا يلتفت إليه.<sup>١</sup> ونزلت بعد سورة هود وقبل سورة الحجر، وهي الثالثة والخمسون فى ترتيب نزول السور وعند آياتها مائة وإحدى عشرة آية باتفاق اصحاب العدد.

قال العلماء: إنما سميت قصة يوسف بأحسن القصص، لأنها تحدثت عن ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والأنعام وسير الملوك والمماليك والتجار والعلماء والرجال والنساء وحيلهن وذكرت التوحيد وعفة وتعبير الرؤيا والسياسة والمعاشرة والصبر على الأذى إلى غير ذلك من العجائب.<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> حمدان أبو الليث، الإسرائيليات فى تفسير الطبري (رياض: دار القلم، ٢٠٠١)، ١٥٦.

<sup>٢</sup> حمدان أبو الليث، الإسرائيليات فى تفسير الطبري، ١٦٧.

وسبب نزول هذه السورة جاء فيما أخرجه ابن جرير الطبري عن ابن عباس قال: "قالوا يارسول الله لو قصصت علينا فنزل: "نحن نقص عليك احسن القصص" وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن قال فتلاه عليهم زمانا فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى: "الر. تلك آيات الكتاب المبين، إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون". ثم تلاه عليهم زمانا، فقالوا لو حدثتنا، فنزل: الله نزل أحسن الحديث.<sup>٣</sup>

وقد نزلت بعد اشتداد الأزمة على النبي صلى الله عليه وسلم في مكة مع قريش وبعد عام الحزن الذي فقد فيه زوجته الطاهرة خديجة وعمه أبا طالب الذي كان نصيرا له ، ونزلت هذه السورة وسط المعاناة لكي تكون بمثابة البلسم الشافي الذي يعين النبي على الصبر والثبات والمضي قدماً رغم الصعاب والحزن.<sup>٤</sup>

فضل السورة : جاء في فضلها عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله: علموا أرقاءكم سورة يوسف ، فإنه أيما مسلم تلاها أو علمها أهله ، أو ما ملكت يمينه ، هون الله عليه سكرات الموت، وأعطاه من القوة ألا يحسد مسلما. وروى أن طائفة من اليهود حين سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو هذه السورة أسلموا لموافقته ما عندهم.<sup>٥</sup>

وأما مناسبة السورة لما قبلها: نزلت سورة يوسف بعد سورة هود ، وهي مناسبة لها ، لما في كل نبي في أكثر من موطن من القرآن الكريم بأسلوب مختلفة، وقد تكررت قصة كل نبي في أكثر

<sup>٣</sup> جلال الدين السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول (بيروت: دار العلمية، ٢٠٠١)، ٣١٢.

<sup>٤</sup> حمدان أبو الليث، الإسرائيليات في تفسير الطبري، ١٧١.

<sup>٥</sup> حمدان أبو الليث، الإسرائيليات في تفسير الطبري، ١٧٢.

من موطن ، منهما من قصص الأنبياء وإثبات الوحي على النبي، وتنوع في المقاصد والأهداف بقصد العبرة والعظة ، إلا قصة يوسف فلم تذكر إلا في هذه السورة وبصورة شاملة متتابعة ، لتشير إلى الإعجاز القرآني في القصة الكاملة .<sup>٦</sup>

العلاقة بين سورة يوسف وسورة يونس : تشابهت السورتان في فاتحتها بقوله تعالى : الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ، وقوله تعالى : الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ. ففي سورة يوسف وصف القرآن بـ "المبين" وأما في سورة يونس وصف القرآن بـ "الحكيم" وهما في أعلى ذروة البيان ، وأقصى مدى من الحكمة والإحكام واختير في كل من السورتين ما يناسبها، فسورة يونس تحدثت عن أصول الدين وهو توحيد الألوهية والربوبية ، وإثبات الوحي والرسالة والتحدي بإعجاز القرآن وإثبات البعث والحساب وهذا عين الحكمة فقال : القرآن الحكيم . أما سورة يوسف موضوعها قصة نبي كريم ابن نبي كريم تقلب في أطوار كثيرة وكان قدوة خير وأسوة حسنة فيها كلها ، فالبيان بها أخص.<sup>٧</sup>

وإن سورة يوسف تعتبر لحمية واحدة يغلب عليها الطابع المكي واضحاً في موضوعاتها وفي جوها العام وفي ظلالها وإيجاءاتها ، وعليها طابع الفترة الموحشة بصفة خاصة ، حيث الوحشة والغربة والانقطاع وعانت الجماعة المسلمة هذه الشدة نزلت في الفترة التي عانى فيها قصة يوسف وهو يعاني مواجهة الجاهلية في مكة المكرمة ، فجاءت هذه السورة لتقص على رسولنا صنوفاً من المحن والابتلاءات والسورة ذات طابع متفرد في احتوائها على قصة يوسف كاملة ، بدأت مع إخوته

<sup>٦</sup> حمدان أبو الليث، الإسرائيليات في تفسير الطبري، 172.

<sup>٧</sup> حمدان أبو الليث، الإسرائيليات في تفسير الطبري، ١٨٠.

وانتهت بتأويلها ، بعد أن ذكرت حلقات هامة في حياة يوسف برؤيا يوسف العزيز ودخوله السجن وتأويله رؤيا الملك ثم لقاءه بإخوته وأبويه.<sup>٨</sup>

## ب. رواات الإسرائيليات في قصة يوسف عليه السلام وزليخا في كتابي التفسير

### ١. الإسرائيليات في قصة يوسف وزليخا في تفسير الطبري

لقد جاءت الإسرائيليات في قصة يوسف بروايات مختلفة مكنوية فمن ذلك ما أخرجه ابن جرير في تفسيره " جامع البيان عن تأويل آي القرآن " في مواطن عدة أثناء تفسيره لسورة يوسف نتبعها النقد والتحليل والبيان:

وردت الروايات إسرائيلية في كتب التفسير تتعلق بقصة امرأة العزيز وغوايتها ليوسف عليه السلام، وحديث النسوة عنها. وحديثهن مع يوسف عليه السلام عندما رأيته وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم.

غواية امرأة العزيز ليوسف عليه السلام: قال تعالى: **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ۗ وَعَلَّقَتِ الْأَبْتَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ ۗ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۗ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٢﴾** **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۗ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۗ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿١٣﴾**

<sup>٨</sup> حمدان أبو الليث، الإسرائيليات في تفسير الطبري، ١٨٠.

وردت من الإسرائيليات المكذوبة التي لا توافق العقل ولا النقل في معنى هم يوسف عليه السلام ما ينافي عصمة الأنبياء وما يخجل اللسان عن النطق به ويأبى القلم أن يسطره، ويتنافى مع شرف الرسالة، لولا أن المقام عرض ونقد وبيان الكذب على الله ورسله، وهو من الواجبات على أهل العلم، حتى لا تخدع وتدخل تلك الإسرائيليات المكذوبة إلى عقول عوام الناس، فقد جاءت عشرات الروايات في تفسير الطبري نختار منها التالي:

الرواية الأولى: حدثنا الحسن بن محمد ، قال: حدثني حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال: أخبرني عبد الله بن أبي مليكة ، قال: قلت لابن عباس: ما بلغ من هم يوسف؟ قال: استلقت له ، وجلس بين رجلها ينزع ثيابه.<sup>٩</sup>

الرواية الثانية: حدثنا زياد بن عبد الله الحساني ، قال: حدثنا مالك بن سعيد ، قال: حدثنا الأعمش ، عن مجاهد ، في قوله: (ولقد همت به وهم بها) قال: حلّ سراويله ، حتى وقع على أليتيه.

الرواية الثالثة: حدثنا ابن حميد . قال: حدثنا سلمة ، عن طلحة ، عن عمرو الحضرمي ، عن ابن أبي مليكة ، قال: بلغني أنّ يوسف لما جلس بين رجلي المرأة فهو يجلّ هميانه، نودي: يا يوسف بن يعقوب، لا تنز ، فإن الطير إذا زنى تناثر ريشه. فأعرض، ثم نودي فأعرض، فتمثل له يعقوب عاصباً على إصبعه ، فقام.<sup>١٠</sup>

<sup>٩</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن ج. ٦ (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٢)، ٤٥٠٥.

<sup>١٠</sup> الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن ج. ٦، ٤٥١١.

الرواية الرابعة: حدثنا الحسن بن محمد ، قال: حدثنا عمرو العنقزي ، قال: أخبرنا سفيان الثوري ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير:(لولا أن رأى برهان ربه) قال: رأى تمثال وجه يعقوب ، فخرجت شهوته من أنامله.

الرواية الخامسة: حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال: كان بعض أهل العلم، فيما بلغني، يقول: البرهان الذي رأى يوسف فصرف عنه السوء والفحشاء، يعقوبُ عاصًا على إصبعه ، فلما رآه انكشفَ هارباً = ويقول بعضهم: إنما هو خيال إطفير سيده، حين دنا من الباب ، وذلك أنه لما هرب منها واتبعته، ألقياها لدى الباب.<sup>١١</sup>

وأسرف واضعو هذه الإسرائيليات الباطلة فزعموا أنه عندما لم يرتدع من رؤية صورة أبيه عاصيا على أصابعه، ضربه أبوه يعقوب، فخرجت شهوته من أنامله، وزعموا أيضا: أن كل أبناء يعقوب قد ولد له اثنا عشر ولدا ما عدا يوسف، فإنه نقص بتلك الشهوة التي خرجت من أنامله ولدا فلم يولد له غير أحد عشر ولدا.<sup>١٢</sup>

٢. الإسرائيليات في قصة يوسف وزليخا في تفسير ابن كثير، وأثر السياق القرآني في نقدها. ومن الروايات التي لا تصح ومرجعها إلى الإسرائيليات ما ذكره ابن كثير عن قوله تعالى: "ولقد هممت به وهم بها" حيث ذكروا ما لا يصح في حق سيدنا يوسف عليه السلام ؛ لكونه ينافي

<sup>١١</sup> الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن ج. ٦، ٤٥١١.

<sup>١٢</sup> الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن ج. ٦، ٤٥١٢.

عصمة الأنبياء ، ولا يتفق مع السياق القرآني الذي وردت فيه القصة، كما يتضح من خلال ما يلي:

وردت روايات كثيرة في تفسير همّ سيدنا يوسف عليه السلام، وقد أفادت بمجموعها أنه عزم، بل جلس من امرأة العزيز مجلس الرجل من زوجته، وحل السراويل، وكاد أن يرتكب معها الفاحشة، ولم يمنعه من ذلك إلا برهان ربه على ما فسروه أيضا من روايات تتناقض مع العصمة والسياق. ومن هذه الروايات ما يلي:

- عن ابن عباس رضى الله عنهما، أنه سئل عن همّ يوسف ما بلغ؟ قال: حل الهميان يعنى السراويل وجلس منها مجلس الخاتن.

- وفي بعض الروايات عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا قال: نودي يا ابن يعقوب لا تكن كالطائر له ريش، فإذا زنى ذهب ريشه، أو قعد لا ريش له.<sup>١٣</sup>

ومن الإسرائيليات في البرهان الذي رآه، ولولاه لوقع في الفاحشة:

عن ابن عباس قال: مثل له يعقوب، فضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله. وعن قتادة: رأى صورة يعقوب فقال: يا يوسف تعمل عمل الفجار وأنت مكتوب في الأنبياء، فاستحيا منه.<sup>١٤</sup>

ومن الإسرائيليات أيضا: ما روي عن ابن عباس رضى الله عنهما. قال: لما جمع الملك النسوة

قال لهن: أنتن راودتن يوسف عن نفسه؟ فغمزه جبريل فقال: ولا حين هممت بهما؟

<sup>١٣</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج. ٣ (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٣)، ٢١٥.

<sup>١٤</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢١٥.

وعن حكيم بن جابر في قوله: ولقد هم بها، قال جبريل: ولا حين حلت السراويل. إلى غير

ذلك من الإسرائيليات الباطلة والأكاذيب الملفقة.<sup>١٥</sup>

### ج. نظرهما في رواية الإسرائيليات ونظر المفسرين الآخرين والمحدثين والنقاد

١. نقدهم عن الإسرائيليات في قصة يوسف وزليخا في تفسير الطبري

نقد هذه الإسرائيليات من الجوانب التالية: نحن نقول إن هذه الآيات بهذا اللفظ العربي المبين

لم تنزل على أحد قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وإن كان الذين افتروا هذا الكذب بأن

يقولوا: رأى ما يدل على معاني هذه الآيات بلغتهم التي يعرفونها، وقالو: في البرهان إنه رأى تمثال

الملك وهو العزيز وقيل خياله، فهذا كله مرجعه الروايات الإسرائيلية التي إفتروا بها الكذب على الله

وعلى رسله وأوصلوه إلى بعض الصحابة والتابعين.<sup>١٦</sup>

١. يوجد في سند هذه الرواية اضطراب فاحش لا يمكن التوفيق بينه لوجود علل منه

المحدثون بسببها الكثير من المرويات، لأنه أمانة من إمارات الكذب والإختلاق، حيث

جاء في سندها ابن جريج وكعب الأحبار ووهب بن منبه وإسرائيل وأمثالهما.

٢. هذه الروايات اعتداء صارخ على عصمة الأنبياء، ولا أدري أي معنى يبقى للعصمة بعد

أن جلس بين فخذيها وخلع سراويله، وما امتناعه عن الزنا على حسب مروياتهم المفتراة،

إلا وهو مقهور مغلوب على أمره، لأن أي مخلوق من الإنس إذا رأى صورة أبيه بعد

<sup>١٥</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج. ٣، ٢٢٠.

<sup>١٦</sup> الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ٤٥١٢.



مئاته تحذره من معصية إلا وكف عنها وانجزر فأى فضل ليوسف إذا وهو نبي من سلالة الأنبياء وهم المعصومون بعصمة الله لهم.<sup>١٧</sup>

٣. إن ما جاء في الروايات الإسرائيلية يتناقض كلياً مع ما جاء في القرآن الكريم، وكيف يوافق بين قوله تعالى في حق يوسف، كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٤﴾ فهل يستحق هذا الشاء الرباني من حل التكه، وخلع السروال وجلس بين رجليها.

٤. اعتراف امرأة العزيز بأنها راودته عن نفسه وأنه من الصادقين، قال تعالى: قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ۗ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۗ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۗ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٥﴾ وهذا اعتراف صريح من هذه المرأة التي دبرت الحيل عن طريق التزين حيناً، والمرادة إليه بمسؤول الكلام حيناً آخر، وتغليق الأبواب تارة، والإرهاب والتخويف حيناً رابعاً ورغم ذلك فلم تفلح، قال تعالى على لسانها: قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ ۗ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۗ فَاسْتَعْصَمَ ۗ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَفْعَلْ ۗ وَإِن لَّمْ يَكُنْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٦﴾ لأنه قابل وسائلها الإعرائية بوسائل العفاف حيث قال: قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۗ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ

<sup>١٧</sup> ابو عمرو بزمول، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (بيروت: دار الفكر، ٢٠١٢)، ١٢٣.

مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٠﴾ لجأ إلى الله ثم قال كيف أخون من أحسن إلي

فأنزلي في بيته ثم تذكر أنه لا فلاح للظالمين.

٥. شهادة الشاهد من أهلها ببراءة يوسف عليه السلام، وقيل إنه رجل حكيم مجرب وكان

من أهلها، وقيل: كان صبيا في المهد وفي هذا إكرام من الله تعالى لأوليائه حيث انطلق

طفلا في المهد فحكم ببراءة يوسف عليه السلام، قال تعالى: فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ

دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٦١﴾

٦. إثارة يوسف عليه السلام الصديق العفيف الكريم ابن الكريم السحن على معصية الله

تعالى وهذه مظاهر النبوة القائمة على الأخلاق والقيم العليا النبيلة، قال تعالى: قَالَ رَبِّ

السَّحْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّن

الْجَاهِلِينَ ﴿٦٢﴾

التفسير الصحيح للآيات: إن الخلوة تجلب الإثارة والغريزة الجنسية لا سيما إذا طالت المدة

وانعدمت التقى عند امرأة العزيز فراودته عن نفسه واتخذت الأسباب المهيأة حيث غلقت الأبواب

وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي، يريد العزيز أحسن إقامتي فكيف أخونه في

أهله، وفي نفس الوقت أن سيده الحق الله عز وجل قد أحسن مثواه بما سخر له فكيف يخونه فيها

حرم عليه إنه لا فلاح ولا نجاح للظالمين. "ولقد همت به وهم به" جاء فيها عدة أقوال: أفضلها

همت بضربه لامتناعه عن إجابتها لطلبها بعد مرادات طالت، فهم هو بضربها دفعا لها عن نفسه

إلا أنه سرعان ما رأى برهان ربه فلم يضربها وأثر الفرار إلى خارج البيت ولحقته تجري وراءه لترده خشية الفضيحة وأخذته من قميصه فقدته أي شقته من دبر، لأنه أمامها وهي وراءه، وقوله: "كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء" فلا يقربها وعلل ذلك بأنه من عبادنا المخلصين أي الذين استخلصناهم لعبادتنا ومحبتنا، وقوله تعالى: "وألفيا سيدها لدى الباب" أي ووجدنا زوجها عند الباب في حال هروبه منها وهي تجري وراءه، فخافت المعرفة على نفسها فبادرت بالإعتذار قائلة ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم.<sup>١٨</sup>

ذكر المفسرون اقوالا في معنى "ولقد همت به وهم بها" نجملها في التالي: قالوا أن همها به يتمثل في أمرين: أحدهما أنها همت هم الشهوة، الثاني أنها استلقت له وتحيأت لمواقفته. وأما همه بها ففيها أقوال أرجحها وأصحها الذي أوضحنا ومنها التالي<sup>١٩</sup>:

١. إن قوله همت به يعني كلام تام قد انتهى، ثم ابتداء الخبر عن يوسف، فقال: "وهم بها لولا أن رأى برهان ربه" بمعنى أنه لم يهم بها، لأنه رأى برهان ربه، وهذا يعني أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، ويؤيد ذلك ما قاله أبو حاتم، كنت أقرأ على أبي عبيدة غريب القرآن فلما أتيت على "ولقد همت به وهم بها" قال: هذا على التقديم والتأخير كأنه قال: "ولقد همت به لولا أن رأى برهان ربه لهم بها".

٢. إن همها كان شهوة وهمه كان عفة وطهارة وابتعادا وفرارا من الوقوع في الفتنة.

<sup>١٨</sup> أبو عمرو بازمول، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ١٢٣.

<sup>١٩</sup> أبو عمرو بازمول، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ١٢٣.

٣. إنها همت به أن يفترشها، وهم بها أي تمنّاها أن تكون له زوجة رواه الضحاك عن ابن

عباس.

ثم الإسرائيليات في قصة امرأة العزيز مع النسوة، قال تعالى: وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ

الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَن نَّفْسِهِ ۗ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۗ إِنَّا لَنَرُلَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ فَأَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ

أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا ۖ وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۗ فَأَمَّا رَأَيْتَهُنَّ

أَكْبَرْنَهُ ۖ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا ۖ إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٦٢﴾

الروايات الإسرائيلية: جاءت عدة روايات في تفسير هذه الآيات ذكرها ابن جرير الطبري في

تفسيره، فذكر منها التالي: الرواية الأولى: حدثنا عبد الوهاب ، عن هارون ، عن أسيد ، عن

الأعرج: "قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا" ، وقال: شَغَفَهَا إِذَا كَانَ هُوَ يَجِبُهَا.<sup>٢٠</sup>

الرواية الثانية: حدثنا إسماعيل بن سيف ، قال: حدثنا علي بن عابس ، قال: سمعت السدي

يقول: كانت في أيديهن سكاكين مع الأترج ، فقطعن أيديهن ، وسالت الدماء ، فقلن: نحن

نلومك على حبّ هذا الرجل ، ونحن قد قطعنا أيدينا وسالت الدماء.

الرواية الثالثة: حدثني المثني ، قال: حدثنا إسحاق ، قال: حدثنا عبد الرزاق ، قال: أخبرنا

معمر ، عن قتادة ، في قوله: (وقطعن أيديهن) ، قال: قطعن أيديهن حتى ألقينها.

<sup>٢٠</sup> الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن ج. ٦، ٤٥٢١.

الرواية الرابعة: حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قالت: (فذلكن الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) : ، تقول: بعد ما حلّ السرّويل استعصى ، لا أدري ما بدّا له .

الرواية الخامسة: حدثنا إسماعيل بن سيف . قال: حدثنا عبد الصمد بن علي الهاشمي ، عن أبيه ، عن جده ، في قوله: (فلما رأينه أكبرنه) ، قال: حِضْن. <sup>٢١</sup>

نقد لهذه الإسرائيليات:

- ١ . يوجد في سندها بعض الروات المجهولين أمثال إسماعيل بن سيف العجلي حيث قال المحققون لتفسير جامع البيان للطبري لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مراجع، وهم استخدموا ورجعوا إلى مراجع هامة وكثيرة في تحقيق هذه النسخة التي رجعنا إليها في إبراز هذه الروايات الإسرائيلية في بحثنا، وهو مذكور في الرواية الثانية والخامسة. <sup>٢٢</sup>
- ٢ . وذكر في سند بعض الروايات عن أسباط عن السدي قالت: "فذلكن الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم" تقول: بعدما حلّ السرّويل استعصى، لا أدري ما بدا له، يوجد في سندها ضعف ثم هي تعترف بأنها هي التي راودته عن نفسه فاستعصم، فإن الفاء تفيد الترتيب والتعقيب بمجرد مرواتها ومحاولتها لإغرائه، قابل هذه الغواية

<sup>٢١</sup> الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ٤٥٢١.

<sup>٢٢</sup> أحمد البكري، تحقيق جامع البيان عن تأويل القرآن، (القاهرة: دار القلم الميسر، ٢٠٠١)، ٤١٣.

بارفض والإستعصام بالله سبحانه وتعالى في وسط هذه الفتنة وهذا هو شأن الأنبياء  
والصالحين.<sup>٢٣</sup>

٣. أما الروايات الخامسة التي تذكر أنهم حضن عندما رأينه وأكبرنه فقال الطبري في تفسيره:  
"هذا القول لا معنى له" ورد على من زعم من الرواة أن بعض الناس أنشده بيتا من  
الشعر في أكبرن بمعنى حضن، قال الشاعر: "نأتي النساء على أطهارهن، ولا نأتي النساء  
إذا أكبرن إكبارا". قال: هذا البيت لا أحسب أن له أصلا لأنه ليس بالمعروف عند  
الرواة، وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: أنكر أبو عبيدة وغيره من أقطا اللغة  
قالوا: ليس ذلك من كلام العرب وأن هذا البيت مصنوع ومختلق.<sup>٢٤</sup>

٤. الروايات تزعم أن يوسف عليه السلام وقع في حبها وهذا يعني أنه وقع في حب  
الشیطان وشباكه وهذا محال في حق الأنبياء، ولأنه من عباد الله المخلصين والشیطان  
ليس له سبيل على عباد الله المخلصين، وهذا بإعتراف الشيطان حيث جاء في قوله  
تعالى: **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤١﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٢﴾**

المعنى الإجمالي للآيات الكريمة: قالت جماعة من نساء الأمراء في مدينة مصر منكرات على  
امرأة العزيز وعائبات عليها وهي تحاول غلامها عن نفسه وتدعوه إلى نفسها وما زال قلبها متعلقا  
به، قد شغفها حبا أي نفذ إلى سويداء قلبها فلم تعد تبالي بالعوقب. وإن صنيعها هذا هو خطأ  
واضح ويتنافى مع مكانتها فلما سمعت بمكرهن، أي أخبرت بمكرهن لأن المكر لا يسمع لأنه يقال

<sup>٢٣</sup> أحمد البكري، تحقيق جامع البيان، ٤١٣.

<sup>٢٤</sup> أحمد البكري، تحقيق جامع البيان، ٤٣٢.

في الخفاء ولم تكن جالسة معهن بدليل أنها أرسلت إليهن بمجرد علمها بحديث النسوة عنها وأعدت لهن ما يتكفن عليه من الوسائد والطعام الذي يقطع بالسكاكين وأعطت كل واحدة سكيناً لقطع الطعام سواء من اللحم أو الفاكهة وذلك مكيدة منها مقابل مكرهن بها. وقالت اخرج عليهن، فلما رأيته أكبرنه وأعظمته لجماله الفائق فجعلهن يقطعن أيديهن اندهاشاً برؤيته فجرحن أيديهن وهكذا يفعل المدهوش إذا رأى منظراً غريباً. وقلن حاش لله ما هذا الذير رأيناه من جنس البشر، وما هو إلا ملك كريم تمثل في صورة بشر من شدة جماله وروعة حسن، والأقرب عند بعض المفسرين: أن النسوة لما رأين عليه هيبة النبوة والرسالة وعلامة التطهر والعفة، نفين عنه آثار الشهوة البشرية والصفات الإنسانية وأثبتن له طهر الملائكة.<sup>٢٥</sup>

## ٢. نقدهم عن الإسرائيليات في قصة يوسف وزليخا في تفسير ابن كثير

نقد الإسرائيليات في تفسيرهم يوسف عليه السلام، وأثر السياق القرآني في نقدها: إن بعض المفسرين ذكروا هذه الروايات دون رد لها أو بيان لزيغها. ومما يثير العجب أن الإمام ابن كثير قد ذكر بعض الوجوه التي يجوز حمل الآية عليها، لكنه ردها واعتبرها مخالفة لأقوال السلف ومن قبيل التفسير بالرأى، ومن هذه الوجوه: أن في الآية تقديمًا وتأخيرًا، والتقدير: "ولولا أن رأى برهان ربه هَمَّ بها" أي لم يحدث منه هَمُّ أصلاً. يرد الإمام مثل هذا ويعتبره مخالف لقول جميع أهل العلم بتأويل القرآن الذين عنهم يؤخذ تأويله.<sup>٢٦</sup>

<sup>٢٥</sup> أحمد البكري، تحقيق جامع البيان، ٤٣٦.

<sup>٢٦</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٢٠.

ثم يقول في نهاية تأويله للآية: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن همّ يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه لولا أن رأى يوسف برهان ربه وذلك آية من آيات الله زجرته عن ركوب ما همّ به يوسف من الفاحشة.

وقد تابع الإمام ابن كثير في هذا القول بعضُ المفسرين. فتابعه الإمام الواحدي فقال: "قال المفسرون: الموثوق بعلمهم المرجوع إلى روايتهم همّ يوسف أيضا بهذه المرأة همًّا، صحيحًا وجلس منها مجلس الرجل من المرأة، فلما رأى البرهان من ربه زالت كل شهوة عنه. قال جعفر الصادق بإسناده عن علي رضي الله عنه أنه قال: طمعت فيه وطمع فيها، فكان طمعه فيها أنه همّ أن يجل التكة، وعن ابن عباس قال: حل المميان وجلس منها مجلس الخائن، وعنه أيضا: أنها استلقت له وجلس بين رجلها ينزع ثيابه.<sup>٢٧</sup>

وقد علّق الدكتور محمد أبو شهبه على هذه الغفلة قائلاً: "وهي غفلة شديدة من هؤلاء الأئمة لا نرضاها، ولولا أني أنزّه لساني وقلمي عن الهجر من القول، وأنهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا لقسوت عليهم، وحقّ لي هذا، لكنني أسأل الله لي ولهم العفو والمغفرة. هذا، وقد تنبه كثير من المفسرين إلى هذه الخرافات والأباطيل، فردوها، وبينوا وجه الصواب في المسألة. ومن هؤلاء: الأئمة: الرازي، وأبو حيان، والزخشي، وابن عطية، وابن تيمية، وابن كثير، وأبو السعود، والآلوسي، والشنقيطي، والقاسمي، وغيرهم.<sup>٢٨</sup>

<sup>٢٧</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج. ٣، ٢٢٤.

<sup>٢٨</sup> محمد أبو شهبه، الإسرائيليات في تفسير ابن كثير، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧)، ٣١٢.



قال ابن كثير: "فعضمه ربه عن الفحشاء، وحماه عن مكر النساء، فهو سيد السادة النجباء، السبعة الأتقياء، المذكورين في الصحيحين عن خاتم الأنبياء، في قوله عليه الصلاة والسلام: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ... وذكر منهم: وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إني أَخَافُ اللَّهَ. والمقصود أنها دعته إليها وحرصت على ذلك أشد الحرص.<sup>٢٩</sup>

وأكثر أقوال المفسرين هاهنا متلقى من كتب أهل الكتاب، فالإعراض عنه أولى بنا. والذي يجب أن يعتقد: أن الله تعالى عضمه وبرأه، ونزهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها، ولهذا فالحجة الأولى: أن الزنا من منكرات الكبائر والحيانة في معرض الأمانة أيضا من منكرات الذنوب، وأيضا مقابلة الإحسان العظيم بالإساءة الموجبة للفضيحة التامة والعار الشديد أيضا من منكرات الذنوب، وأيضا الصبي إذا تربى في حجر إنسان وبقي مكفي المؤنة مصون العرض من أول صباه إلى زمان شبابه وكمال قوته، فإقدام هذا الصبي على إيصال أقبح أنواع الإساءة إلى ذلك المنعم المعظم من منكرات الأعمال.<sup>٣٠</sup>

الثاني: إذا ثبت هذا فنقول: إن هذه المعصية التي نسبوها إلى يوسف كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الأربع ومثل هذه المعصية لو نسبت إلى أفسق خلق الله تعالى وأبعدهم عن كل خير لاستنكف منه، فكيف يجوز إسنادها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة. ثم إنه تعالى قال في غير هذه الواقعة وذلك يدل على أن ماهية السوء والفحشاء مصروفة عنه، ولا شك أن المعصية التي نسبوها إليه أعظم أنواع وأفحش أقسام الفحشاء، فكيف يليق برب

<sup>٢٩</sup> محمد ابو شهبة، الإسرائيليات في تفسير ابن كثير، ٣١٤.

<sup>٣٠</sup> محمد ابو شهبة، الإسرائيليات في تفسير ابن كثير، ٣١٤.

العالمين أن يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريئا من السوء مع أنه كان قد أتى بأعظم أنواع السوء والفحشاء . وأيضا فالآية تدل على قولنا من وجه آخر ، وذلك لأننا نقول: هب أن هذه الآية لا تدل على نفي هذه المعصية عنه ، إلا أنه لا شك أنها تفيد المدح العظيم والثناء البالغ ، فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يحكى عن إنسان إقدامه على معصية عظيمة، ثم إنه يمدحه ويثني عليه بأعظم المدائح والأثنية عقيب أن حكى عنه ذلك الذنب العظيم ، فإن مثاله ما إذا حكى السلطان عن بعض عبيده أقبح الذنوب وأفحش الأعمال ثم إنه يذكره بالمدح العظيم والثناء البالغ عقيب ، فإن ذلك يستنكر جدا فكذا هاهنا.<sup>٣١</sup>

الثالث : أن الأنبياء متى صدرت منهم زلة ، أو هفوة استعظموا ذلك وأتبعوها بإظهار الندامة والتوبة والتواضع ، ولو كان يوسف أقدم هاهنا على هذه الكبيرة المنكرة لكان من المحال أن لا يتبعها بالتوبة والاستغفار، ولو أتى بالتوبة لحكى الله تعالى عنه إتيانه بها كما في سائر المواضع، وحيث لم يوجد شيء من ذلك علمنا أنه ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنب ولا معصية.<sup>٣٢</sup>

الرابع : أن كل من كان له تعلق بتلك الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف من المعصية. وأما الإمام أبو حيان فقد أجاد وأفاد، وجاء بالقول الفصل في المسألة، فقال : " طَوَّلَ المفسرون في تفسير هذين المهمين، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق، والذي أختاره: أن يوسف لم يقع منه هَمٌّ بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان، كما نقول: قارفت لولا أن عصمك الله، ولا تقول: إن جواب (لولا) متقدم عليها، وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك،

<sup>٣١</sup> محمد أبو شهبة، الإسرائيليات في تفسير ابن كثير، ٣١٥.

<sup>٣٢</sup> محمد أبو شهبة، الإسرائيليات في تفسير ابن كثير، ٣١٥.

بل صريح أدوات الشرط العاملة مُختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو زيد الأنصاري وأبو العباس المبرد، بل نقول: إن جواب (لولا) محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما يقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت، فيقدرونه: إن فعلت فأنت ظالم، ولا يدل قوله: أنت ظالم على ثبوت الظلم، بل هو مُثبتٌ على تقدير وجود الفعل، وكذلك هنا التقدير: لولا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها، فكان موجد الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان، ولكنه وجد رؤية البرهان، فانتهي الهم<sup>٣٣</sup>.

وبعد أن ردَّ الإمام أبو حيان على الإمام الزجاج اعتراضاً لغويًا، قال: "وأما أقوال السلف، فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك؛ لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضا مع كونها قاذحة في فساق المسلمين فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة. وما ذهب إليه الإمام ابن كثير من أن "جواب (لولا) محذوف لدلالة ما قبله عليه" هو ما ارتضيه في تفسير الآية<sup>٣٤</sup>.

وقد ردَّ الإمام الزمخشري أيضا هذه الروايات المختلفة فقال: "ولو وجدت من يوسف أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره، كما نعيت على آدم زلته، وعلى داود، وعلى نوح، وعلى أيوب، وعلى ذي النون، وذكرت توبتهم واستغفارهم، كيف وقد أثني عليه وسمي مخلصا، فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض، وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم، ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح، حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين، ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصادق لها، ولم يقتصر إلا على استيفاء قصته وضرب صورة

<sup>٣٣</sup> محمد أبو شهبة، الإسرائيليات في تفسير ابن كثير، ٣١٧.

<sup>٣٤</sup> محمد أبو شهبة، الإسرائيليات في تفسير ابن كثير، ٣١٧.

كاملة عليها ، ليجعل له لسان صدق في الآخرين ، كما جعله لجدده الخليل إبراهيم ، وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة وطيب الإزار والتثبت في مواقف العثار ، فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدي إلى أن يكون إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقندي بني من أنبياء الله ، في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكتنه للوقوع عليها ، وفي أن ينهاه ربه ثلاث كرات، ويصاح به من عنده ثلاث صححات بقوارع القرآن ، وبالتوبيخ العظيم ، وبالوعيد الشديد ، وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أنثاه، وهو جاثم في مريضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه ، حتى يتداركه الله بجبريل وإجباره.<sup>٣٥</sup>

وقال ابن كثير " :فالتقدير :ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها ، فقدم الجواب على شرطه للاهتمام به . ولم يقرن الجواب باللام التي يكثر اقتران جواب ( لولا ) بها؛ لأنه ليس لازماً ولأنه لما قدم على ( لولا ) كره قرنه باللام قبل ذكر حرف الشرط. وبذلك يظهر أن يوسف لم يخالطه هم بامرأة العزيز لأن الله عصمه من الهم بالمعصية بما أراه من البرهان .<sup>٣٦</sup>

قال أبو حاتم : كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة فلما أتيت على قوله : ولقد هم بها لولا أن رأي برهان ربه... الآية. قال أبو عبيدة : هذا على التقديم والتأخير ، أي تقديم الجواب وتأخير الشرط ، كأنه قال : ولقد هممت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها . وأن المراد بهمه بها : الدفاع عن نفسه برد الاعتداء ، ولكنه آثر الهرب.

<sup>٣٥</sup> محمد ابو شهبة، الإسرائيليات في تفسير ابن كثير، ٣١٨.

<sup>٣٦</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج. ٣، ٢٣٨.

وقد قرر هذا الرأي ودافع عنه وأنكر سواه صاحب المنار ، فقد قال ما ملخصه: وتالله لقد همت المرأة بالبطش به لعصيانه لأمرها ، وهي في نظرها سيدته وهو عبدها ، وقد أذلت نفسها له بدعوته الصريحة إلى نفسها ، بعد الاحتيال عليه بمراودته عن نفسه. فخرجت بذلك عن طبع أنوثتها في التمتع. مما جعلها تحاول البطش به بعد أن أذل كرامتها ، وهو انتقام معهود من مثلها ، وممن دوغها في كل زمان ومكان. وكاد يرد صياها ويدفعه بمثله.<sup>٣٧</sup>

وهذا رأي حسن كدت أركن إليه، ولكن بعد النظر في سياق الآيات تبين لي أن القول بعدم حصول الهم من يوسف عليه السلام هو الأولى بالقبول، فالهم حتى ولو كان بمعنى الميل الفطري أو حديث النفس أو الخاطر أو مقارنة الفعل، فإنه بهذا المعنى أو ذلك لم يقع لوجود البرهان الرباني. وخلاصة القول: أن للسياق القرآني عظيم الأثر في نقد الإسرائيليات الواردة في تفسير الآية، فالآيات السابقة واللاحقة كلها ثناء على سيدنا يوسف عليه السلام ومدح له. "فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يحكى عن إنسان إقدامه على معصية عظيمة ثم إنه يمدحه ويثني عليه بأعظم المدائح والأثنية عقيب أن حكى عنه ذلك الذنب العظيم. وذلك يدل على استحالة ما نسبته الإسرائيليات إليه عليه السلام. وبيان ذلك كالتالي:

أولاً: إذ الآية الكريمة تبين أن الله تعالى آتاه حكما وعلما، ووصفه بكونه من المحسنين، أفترى أن الله تعالى آتاه الحكم والعلم ليتخذ ذلك وسيلة إلى انتهاك الأعراض. ثم كيف يتفق ذلك مع وصف الله تعالى له بكونه من المحسنين.

<sup>٣٧</sup> محمد رشيد رضا، تفسير المنار ج. ٥ (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨)، ٢٦١.

ثانياً: قول الله: "إني معاذ الله" وهذه الآية فيها أعظم الدلائل على براءة يوسف عليه السلام من أكاذيب الإسرائيليات، ففيها رد يوسف عليه السلام واعتصامه بالله والتجائه إليه سبحانه، وفيها تعليقه لذلك، فبين أن ذلك ينافي وجوب طاعة الله تعالى وشكره على نعمه، وأشار إلى أن إجابتها لما راودته ظلم بارتكاب هذه الفاحشة.

ثالثاً: قوله تعالى: "لنصرف عنه سوء" وهذه آية بينة وحجة قاطعة على أنه عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه إليها قط، وإلا لقليل: (لنصرفه عن السوء والفحشاء)، وإنما توجه إليه ذلك من خارج فصرفه الله تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة. فالآية تتحدث عن همّ امرأة العزيز بيوسف ثم تذكر أن يوسف لما كان البرهان حاضراً لديه حضور من يراه بالعين لم يغطه وفور شهوة ولا غلبة هوى فلم يهم أصلاً مع كونه في غاية الاستعداد لذلك؛ لما آتاه الله من القوة، مع كونه في سن الشباب، فلولا المراقبة لهمّ بها؛ لتوفر الدواعي، غير أن نور الشهود محامها أصلاً.